

المرأة بين دورين.. مسلمة وزوجة



عندما تعيش الزوجة، في داخل البيت الزوجي: زوجة وأمًا، من الطبيعي، أن تعتبر نفسها ذات شخصيتين ترتّب كلّ منها عليها مسؤولية في الحياة.

الشخصية الأولى هي شخصيتها كزوجة ت يريد أن تحصل على محبة زوجها، وكأم ت يريد أن تحصل على محبة أولادها وأن ترعاهم وتهيئ لهم ما يرغبون فيه ويحبونه كي ينطلقوا في دروب النجاح من خلال الطمأنينة التي يجدونها في البيت. وهذا ما يتتيح لهم كلّ ما يحتاجه الإنسان عن علاقة أُسرية سليمة تمكنه من أن يحتضن مشاعر الإنسان الآخر ورغباته، بحيث تتحوّل العلاقة إلى علاقة شعورية عميقه توحّد الناس في حياتهم، وفي أوضاعهم العامّة.

الشخصية الثانية هي شخصيتها كمسلمة تشعر أنّ عليها أن تجعل من نفسها، من حيث الفكر والعاطفة والالتزام، إنسانةً تعمل على أن تحقق رضا الله تعالى، أكثر مما تعمل على أن تحقق رضا الناس من حولها.

هذه الشخصية تدفعها إلى أن تتحرك في الحياة، كإنسانة مسلمة، لتحقيق رضا الله من حولها، وذلك بالقيام بالمسؤوليات الشرعية الملقاة على عاتقها كزوجة تجاه زوجها، وكأم تجاه أولادها، فلا تضيّع حق زوجها انطلاقاً من عقدة أو نزوة أو من حالة نفسية صعبة. ولا تضيّع حق أولادها، انطلاقاً من حالة مما ثلة لتلك الحالة. وذلك كي تبيّن للآخرين أنّ الإنسان المسلم هو الإنسان الذي يقوم بما عليه من حقوق من دون أن ينظر إلى الآخرين هل يقومون بما عليهم من واجبات أو لا. فالزوجة المسلمة هي التي لا

تنتظر من زوجها أن يقوم بحقوقها لتقوم بحقوقها لتقوم بحقوقهم، بل تتسلّم زمام المبادرة لتقوم بحقوق أولادها قربة إلى الله تعالى. ويكون دافعها إلى ذلك امتثال أمر الله تعالى ونهيه في هذا المجال. وهكذا تعيش شخصية الزوجة المسلمة والأُم المسلمة في حركتها، في مجال الدعوة إلى الله، وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي مجال التجربة الحسية التي تمكّنها من أن تجعل من بيتها الزوجي، أو العائلي، بيتاً إسلامياً يتحرك في نطاق الأجراء الإسلامية. وعلى هذا الأساس، فهي، عندما تعيش هاتين الشخصيتين: فلابد لها أن تراقب حركتها الشعورية وحركتها العملية في الانسجام بين هاتين الشخصيتين شخصيتها كزوجة وكأم وشخصيتها كمسلمة، فلا تحاول أن تنتقص من شخصيتها الإسلامية لمصلحة شخصيتها الزوجية أو شخصيتها الأُمومية، بحيث ترك طاعة الله لإرضاء زوجها، أو ترك طاعة الله لإرضاء أولادها، بل تعمل معتبرةً شخصيتها الإسلامية هي الأصل والشخصيات الأخرى التي تملّكها كجزء من مجتمع صغير أو كجزء من مجتمع كبير، هي شخصيات تابعة للشخصية الإسلامية ومتفرّدة عنها.

وعلى أساس ذلك تتصرّف. وإذا ابتليت بزوج مفتر، أو بأولاد مفترضين، فإنّ عليها أن توحى إليهم، ما أمكنها ذلك، بعدم رضاها عن ذلك، إذا كان إفطارهم إفطاراً معصية، فيظهر عدم رضاها في وجهها وفي طريقة تعاملها في البيت، أو في الامتناع في بعض الحالات عن تحضير الأكل أو غير ذلك مما يحتاجه الناس المفترضون، أو في عدم جعل هذا الشيء مريحاً لهم، بحيث يشعرون بثقل معنى الإفطار في داخل البيت من خاللها. هذا إذا كان الضغط بهذه الطريقة يمكن أن يؤدي إلى نتيجة عملية إيجابية. أمّا إذا كان المسألة تحتاج إلى أسلوب آخر يتمثّل بطريقة الانفتاح الذي يمتزج مع الانغلاق، من أجل أن تقدّم لهم بطريقة عاطفية أو ببعض الوسائل العملية نحو الارتداع عن ذلك فإنّ عليها أن تقوم بهذا. المهم أن تكون رسالتها، في هذه الدائرة الصغيرة، رسالة الإنسنة المسلمة التي تدرس أفضل الوسائل وأحسن الكلمات وأرق الأساليب أو أحکمها في الوصول إلى ردع هؤلاء عمّا هم فيه. وإذا كان امتناعها عن تحضير الطعام أو الشراب، أو إذا كان أسلوبها الجاف يمكن أن يشكّل حرجاً عليها في وصول العلاقة الزوجية إلى نوع من الانفصال، أو إلى نوع من الاهتزاز تصل إلى حدٍ ضربها من جانب زوجها أو من جانب أولادها، أو إذا كانت المفسدة في الامتناع من المصلحة فمن الطبيعي، من الناحية الشرعية، أن تأخذ برخصة الشر في ذلك وتقوم بخدمتهم في هذا المجال، ولكن بطريقة يشعرون فيها أذناًها تمارس عملاً ثقيلاً عليها باعتبار أذناًها تتحرك مع أناسٍ، إذا كانوا من أقرب الناس إليها، فهم من أبعد الناس عن الله تعالى، للإيحاء لهم بأنّ الفربة من الله هي الأساس في قرب الإنسان إلى النفس.►

المصدر: كتاب تأملات إسلامية حول المرأة